

الباب الثاني

صروح وشروح

تداع

تداعت حجارة جدار القصر بعد أيام شديدة الرّيح والمطر.
هرع الحراس لتفقّد الوضع، وفحص إمكانية وقف التدّرج،
لكنّها فرقتهم خوفاً، وأذهلتهم بصوت ارتطامها الصّارخ:
أين مليكنا؟ نريده معنا.

عراك

استلقت العبوديّة على سرير من الأجساد مكحلة بدم عبيدها..
في صباح قانٍ نبّهت لزوجته يقظة الحرّية، فتململت تشاءب
وتتمطّى..
هرع جنود العبوديّة لإعادتها لكهف الرقاد قبل الصّحوة، فانتفضت
الحرّية ولا تزال تغرس حراها في بطون أعداء الإنسانيّة!

بحث

سرتُ مبكرا وملوحة فمي تضايقني آملا أن أجد نهرا عذبا
أرتشف من حلومائه.. اشتد القيظ ظهرا، وكادت الملوحة تخنقني،
فجلست بظل شجرة طامعا بثمره، لكنها خذلتني هي الأخرى..

أكملت المسير مارًا بقوم يرفلون بثياب النعم، نظروا إليّ ثم حملوا
بي متممين، وبعدها ابتعدوا صارخين.

أخذ العطش مني كلّ مأخذ، فخارت قواي وجر جرت قدمي
عازما على إيجاد مخرج من هذا المأزق.

صوت خرير يجذبني نحوه، ويستحثّ عزيمة الهشة للوصول
إليه.. وصلت مع غزو خيوط الليل لنور النهار، وإذ بصفّي النهر
تفيضان بغزاة قد سيطروا عليه، فأنحسرت مياهه غيظا، وجفت
عروقي قهرا.

اعتصار

صبيّة بجمال الأزهار، ورقّة الفراشات.. أجبرتها القذائف وتدمير
البيت على النّزوح، فاحتضنتها وأهلها أذرع مخيّم (الزّعترى)
المفتقد لنكهة الزّعتر، ثمّ ألقت بها أيادي العوز، والعسف الإنساني
لخضن عجوز اعتصرها قهراً...

نجوم الفوز

أنشبت الهزيمة أظفارها في كبد النّصر، ورمته فوق قمامة الهزيمة.
أبت النّسور أن تقتات عليه، فحلّقت في سماء المجد، واصطادت
نجوم الفوز لتزيّن بها صدور الطّامحين لها، لكن هالها أنّ عددهم
قليل!

حلم

حلم أن فراشه الوثير يسحب من تحته على أيدي المقرّبين منه،
وترك نائما على أرض قدرة أزعجته جدّا برائحتها، فراودته أفكار
سوداوية حملته إلى مفسري الأحلام.

قال له أحدهم:

يسحب كرسي العرش من تحتك، وتعيش بائسا. فهاه ما سمع
وبدأ بإعدام من يشكّ بأنّهم سيخونونه، وتفتنّ بأساليب بطشه
وتعذيبه لهم.

بعد سنة، لطّخت جدران قصره كلمات شائعة مفادها أنّ إحدى
زوجاته تخونه مع وزير من الوزراء، فزجر غاضبا:

تبّا لذاك المفسّر سأعدمه!

شجاعة

نظر الأسد ظُهرًا في أمر مملكته، فوجد بعض فجوات لطموحاته.
ساح نظره وفكره في فضاء الممالك المحيطة، وابتسم بخبث ودهاء.
أرّقه ليلاً ما تداوله في أمور قديمة، وتخطيط لمشاريع جديدة.
في أحد الأصباح أستفاق على صوت ضجيج يعمّ ديار جيرانه، فهزّ
بلبده متثبّياً وهامساً لأشباهه :
سوف ننتظر حلول المساء؛ استعداداً لسدّ الثغرات في مملكتنا،
وتحقيق ما نصبو إليه.
ردّ أحد أشباهه:
لمْ لا نذهب الآن لديار أولئك الضّعفاء ونسكتهم؟ ألسنا المملوك؟
فتضاحك الأسد مخاطباً أشباهه:
روّضوا هذا الصّغير المتهورّ!.

سقوط النّون

لقّب بالنّهر العظيم لكثرة إغداقه وتدقّق خيراتهِ على أهل بلدتِهِ،
فقرّروا ترشيحَهُ للرّئاسة.. طلب الإعفاء والمسامحة.. أصرّوا
وأمسكوا بأطناب التّصميم حتّى قبض على وتد القبول والتّنفيد.

جلس على كرسي الرّئاسة، وتاج الوقار تشع درره بنور المحبّة
والتّقدير.

طوت السّنون أيّامها، وإذ بالجمهور يباغته بنشر رايات احتجاجه،
وعصيّ التّفنيد تلوّح لما يقوم به، فيما الحناجر تصدح:

سقطت نون النّهر العظيم، فأدمت المخالب أجساد المظلومين.

غفوة

غفا الرّاعي تاركا القطيع يرتع في مرعاه، فجأة ظهر ذئب واقترب
من الأغنام، فهرع الكلب مسرعا للدّفاع عنها.. وفيما هما يتقاتلان
أسرع الثّعلب مهاجما إحدى النّعجات، ومفزعا القطيع الذي تفرّق
هلعاً.

صحا الرّاعي يضرب الأرض بعصا خيئته، ويلطم وجهه بكفي
النّدم لغفوته!

حرية

اتّشح بعد برد أعيته شدّته بوشاح جديد اسمه الحرّية، فحمله وراح
يباهي بدفئه، وينادي الآخرين ليحذوا حذوه..

في غمرة فرحه جاءه من غاظه فعله، فنزع ما شدّد ياء الحرّية
وسحب منها النّقطة، ثم غرس ما تبقى في صدره!

الجندي الباسل

كان أحد الجنود الباسلين يعشق لعبة الشطرنج ويصرّ على غلبة
غريمه، فذاع صيته حتّى أصبح مفخرة قائده بذكائه، إضافة
لشجاعته في هزم أعدائه.

بعد انتهاء سني الخدمة، وجد نفسه جنديًا على رقعة الشطرنج
تتلقّفه الأصابع كيفما شاءت، وتضعه حيث أرادت!

سأم

حدّث نفسه قائلاً: سئمت برد الشّتاء، ولا بدّ من شمس الرّبيع
ودفئها كي أنعم بهذه الحياة..

شرّع النّوافذ على مصاريعها، فدخلت أشعّة شمس الرّبيع
بحرارتهما، وتلاعب الهواء في أرجاء المكان..

عندما حلّ الصّيف، أغلق النّوافذ متسائلاً:

ما بال الخريف قد حلّ باكراً؟!

خذلان

ما إن دخلت الشمس مخدعها حتّى غطّ في سبات عميق، لكنّ
دوى صوت في الخارج فهزّ أركان البيت، واهتزّ له السرير فاستفاق
مذهولاً ظناً منه أنّه سها أثناء عمله على الآلة المزعجة المسبّبة
للصّم، فلم يجد شيئاً بين يديه.. الأصوات تتعالى فيطل برأسه من
النّافذة شبه صاح، وإذ بأشباح تطلق زخّات من الرّصاص صوب
العمارة.

تقطّعت أوصال الشّعور بالأمان، وتشتّت الدّهن حيال ما ترى
العينان، فتشنّجت القدمان، وظلّ واجما في المكان .

يهرع عجوز ويصيح: تبا لكم! إخوة وتقتتلون؟!

وقبل أن يتوارى عن الأنظار تستقرّ في صدره رصاصة الخذلان!

غيمة

وقف ذات قيظ يستظلّ بظلّ غيمة مستجديا رذاذها
لترطيب جفاف حياته الذي هاجم نضارة أحلامه.
انقشعت الغيمة، وأطلّت الشمس بحرارتها اللاهبة، فتضاحك
بائسا ومضى يقول:

يبدو أنّ زعماءنا يخلّقون فوقنا!

ثقافة الهتاف

مشى في الصفوف الأمامية هاتفا:

" بالطول بالعرض وحدتنا تهزّ الأرض"، وأسرع الخطى، وإذ بمجموعة تهتف:

"الله أكبر والله الحمد".. فعلا صوته مردّدا وبحماس شديد الشعار نفسه.

توقّفت الحشود لتستمع إلى كلمة الرئيس الذي لا يؤمن بالحزبيّة وبالشعارات جميعها، فصاح:

يعيش قائدنا الحرّ الأبّي.

غاضب كلامه أحد المشاركين فاستغرب تحولاته وسأله:

ما بك ترفع ألوية لهتافات متناقضة وتهتف كالبيّغاء؟

فأجابه: يا لك من عبد ألم تسمع بجملة: "والبس لكلّ مسلك لباسا"؟!

